

في نور محمد فاطمة الزهراء

لقد كان أقدر على تفهّم طبيعة أبي بكر، وأعلم بأنّه لا يعود فيما اعتزم وأبرم، فلات حين مأب! لكنّه أحبّ - باستفسارها في تلکم الآونة - أن يسري عنها بعض التسرية، فيفسح لها في الكلام عسى أن تنفّس من خلاله عن همّها الحبيس. وسمعها تميل عليه بالخطاب، أخذت تعاتبه من قلب منقطور، ملؤه أحزان نابغية الألم، بعبارات حرّى، تشتعل في ألفاظها الحروف، لكنّ عتابها ذاك الذي راحت تبثّه إيّاه، كان عتاب وامق مشفق، ليس لوم لائم زار، ولا تثريب قال غصوب. قالت له وكأنّ حديثها بكاء: «أضرعت خدّك يوم أضعت جدك، ما كففت قائلاً ولا أغنيت طائلاً ليتني متّ قبل هنيئتي ودون ذلّتي! عذيري! منه عادياً، ومنك حامياً! ويلاي في كلّ شارق، ويلاي في كلّ غارب، مات العمد ووهن العضد، شكواي إلى أبي، وعدواي إلى ربّي...». * * * كانت كلماتها العاتبة تتساقط من شفتيها كقطرات دموع. ومع ذلك فقد كانت تعلم أنّ زوجها فوق هذا العتاب، وكلّ عتاب. ولئن كانت الخلافة فاتته لحظة أن قبض يده عنبيعة العباس وأبي سفيان يوم توفّي رسول الله، فالقبض كان هو الأخرى به في ذلك المقام... أم كان يدع جثمان الرسول لم يجهّزه لرحلته الأخيرة، ثم ينازع الناس تراثه وسلطانه؟ أم كان يقبل أن يُبايَع من وراء أظهر المسلمين، فتكون البيعة من خلف رتاج؟ بل كان واثقاً أنّّه الأولى بالخلافة، بلا منازع ولا نزاع... وأنّ الإمرة له لا محالة، سارع فصفّق على يدي شيخي قريش أو استأخر إلى حين... وأنّ حقّه فيها يقين من يقين، ليس فقط بحكم قرابته من حامل الرسالة، بل فوق هذا وقبله بحكم